تفتح ملف.. "العاصمة الأسوأ"

((الحلقة السابعة))

بغداد إلى أين؟

منطقة الدورة التي ظلت أكثر المناطق سخونة في بغداد، شهدت أحداثاً دامية تقف وراءها مسميات إرهابية عدة، وتعرضت إلى تفجيرات كثيرة كان آخرها تفجير طال كنيسة مارتاشموني، ودفع سكنة المنطقة خاصة الاثوريين منهم ضحايا عدة كما فقد اغلبهم محاله ودوره السكنية ما جعلهم يهجرون وطنهم علما أنهم يعدون من سكنته القدامى.

الدورة ثكنة كونكريتية يتجول في أزقتها الخوف

بساتينها الجميلة فقدت نضارتها وتحولت إلى مراعٍ

مكبّ نفايات في محلات مهملة يسودها الخراب

□ بغداد/ سها الشيخلي
□ عدسة/ أدهم يوسف

السلام في مدينة السلام

يغيب عن منطقة الدورة الأمن والسلام على الرغم من أنها الباب الجنوبية لمدينة السلام، ومنظمة ميرسر ـــ التي اختارت بغداد العاصمة الأسوأ في مدن العالم ـــ قد اعتمدت ٣٩ معيارا، أهما أن ترفل المدن بالسلام واستتباب الوضع الأمني، وان غيابه يضع الدول على رأس القائمة الأسوأ بين الدول، غير أن الوضع الأمني المتدهور الذي عاشته بغداد قد جعلها متخمة بجوانب سلبية أخرى تحتل الصدارة بين المدن الأسوأ وتعرضت اغلب مناطقها إلى الدمار ومنها منطقة الدورة فقد استهدفت هذه المنطقة التي كانت إلى ما قبل الاحتلال عام ٢٠٠٣ تعيش الأمن ويرفرف السلام على ربوعها، فبدت لنا مدينة يلفها الخوف والترقب من أحداث قد تأتي وتعيد للمدينة أحزانها، خاصة وان يد الإرهاب لم تفرق بين كنيسة او جامع او حسينية او بين صرح ثقافي وآخر تراثي، فقد استهدف قبل أخوتنا الاثوريين والمسلمين، وتروي لنا إحدى السيدات الاثوريات عن الخراب والموت الذي حل في المنطقة فتقول:

برغم أن سكان الدورة من الناس الطيبين الذين لا يبحثون عن المشاكل ويعيش الجميع فيها من مسلمين ومسيحيين أجواء السلام والوفاق، إلا أنهم تعرضوا إلى هجمات شرسة من قبل الإرهاب وقدموا ضحايا من كلا الطرفين.

يحدثنا المواطن أبو بطرس انه تعرض إلى الابتزاز والتهديد من قبل جماعات مسلحة في عام ٢٠٠٦ وهي السنة الأسوأ في حياة معظم مناطق ومدن العراق من حيث الاحتقان الطائفي بين المسلمين والتهجير القسري للأديان الأخرى، مما جعله يغادر داره قاصدا مدينة بعشيقة في محافظة نينوى وبقي فيها لمدة سنتين، وان جاره المسلم قد حمى داره ، وعندما عاد في العام ٢٠٠٩ وجد ان جاره المسلم قد صان الأمانة وحافظ على بيت أخيه المسيحي مثلما يحافظ على بيته، ويثني ابو بطرس على جاره واصفا إياه بالشهم.

مدخل المنطقة

بعد ان اجتزنا الجسر ذا الطابقين انعطفت بنا السيارة نحو اليمين لندخل منطقة الدورة، وهناك رأي يقول إنها سميت بالدورة لدورة نهر دجلة في تلك المنطقة من ثلاث جهات وقد أطلق عليها الاسم في القرن الثالث عشر الميلادي وقد عرف عن المنطقة بأنها مقر لبعض الأخوة المسيحيين من القومية الاثورية، سارت بنا السيارة وسط شارع يبدو للناظر بأنه نظيفا إلى درجة تدعو للإعجاب، وهو حال اغلب شوارع مدينة بغداد الذي تهتم بنظافتها المجالس البلدية المتوزعة في مناطق بغداد، أما الشوارع الفرعية فتعلوها أكداس من النفايات وأزقتها عبارة عن مكب للقاذورات، ومن الملفت للنظر أن شارع منطقة الدورة على طول امتداده كان محاطا بالحواجز الكونكريتية التي غطت معالم المنطقة، وكانت البساتين التي عرفت عنها بأنها كانت إلى وقت قريب سلة الغذاء لأهل العاصمة قد تحول بعضها إلى بساتين خربة لا تضم سوى نخيل اجرد بعضها محترق والبعض الآخر مهمل، وشاهدنا قطعان الخراف ترعى في تلك البساتين، كما شاهدنا بعضها يسير في منعطف الطرقات وخلف الحواجز الكونكريتية، وتكاد لا تخلو منطقة في بغداد من قطعان المواشي في ظاهرة الرعي الجائر، وعنها قال لنا احد رعاة تلك القطعان إن ارتفاع سعر العلف يقف وراء استفحال هذه الظاهرة، ومن بين تلك البساتين المهملة تطالعنا أطلال دير الراهب هرمز، وهو من الأديرة القديمة كما قالت لنا إحدى السيدات من سكنة المنطقة، وندخل المنطقة لنجد أن اغلب الشوارع الفرعية قد سدت مداخلها بالحواجز الكونكريتية مما يصعب دخول سيارات البلدية الحوضية ما جعل أهل المنطقة يرمون مخلفات المنازل على الشارع العام لكي تأخذها سيارة البلدية، وقال لنا احد سكنة المنطقة حتى السيارات الحوضية تقوم بجمع واخذ الأوساخ مرتين في الأسبوع لا أكثر مما يجعل مدخل الأزقة عبارة عن مكب للقاذورات، إضافة إلى ما تخلفه الأسواق والمطاعم المتواجدة في المنطقة من فضلات الطعام ومخلفاتها الأخرى.

جدار كونكريتي وآخر كارتوني

محال البالات في سوق الدورة

كراج الدورة

إلى اليسار من الشارع العام بالنسبة للقادمين من الجسر ذي الطابقين يقع مرآب الدورة الذي يربط مناطق أخرى تابعة للدورة وهي منطقة الميكانيك، حي آسيا، ابودشير، حي المعلمين. كان المرآب كحال كل مرائبنا تقف سيارات الكيا فيه من غير تنظيم وليست هناك قواطع تنظم سير الخطوط العاملة، كما انه محاط بالجدران الكونكريتية وهناك منفذ واحد صغير للدخول ومثله للخروج، وعلى جوانبه هناك أكداس من الأزبال من علب كارتونية وأكياس بقايا أزبال البيوت القريبة، ويطالعنا خلف مرآب الدورة شارع ضيق يحتله (البنجرجية) وقد استحالت أرضيته الى اللون البني لكثرة ما دلق عليه من زيوت محركات السيارات، وبعض المحال فيه فارغة قد (استثمرت) لتكون تلالا من الازبال ومخلفات عمل البنجرجية، وعلى جوانب وأمام وخلف المرآب شاهدنا تلالا من الأنقاض، علما أن دائرة بلدية الدورة كما شاهدناها تقع بقرب المرآب ولا تبعد عنه سوى أمتار قليلة، إلا أن رئيس البلدية كما هو السائد كغيره من رؤساء البلديات في بغداد لا يهمهم أزقة المنطقة بل ينصب اهتمامهم فقط على الشارع العام، فالمهم أن يكون نظيفا وليعم الخراب بقية الأزقة.

سوق الآثوريين

وهو السوق الأكبر في المنطقة وقد سمي باسم الإخوة الاثوريين لان غالبية المحال فيه مملوكة للقومية الاثورية، كان السوق غير منظم وسقوفه عبارة عن قطع من الصفيح والخشب، ولا ندري كيف سيكون أثناء هطول الأمطار، عند مدخل السوق طالعتنا أكداس من مخلفات باعة الخضراوات والفواكه التالفة، روائح نتنة تنبعث من مدخل السوق الذي يتنوع بين مواد استهلاكية منزلية وخضراوات وفواكه، ثم نسير وسط هياكل وحوامل حديدية صدئة تعرض شتى أنواع الملابس المستعملة، ونصل الى سوق البالات الذي يعد واحدا من اكبر أسواق البالات في بغداد ذلك لان غالبية سكنة المنطقة من ذوي الدخل المعيشي المتدني والذين يعانون البطالة ويعتاشون على الكسب اليومي كباعة متجولين تطاردهم وزارة الداخلية من جهة وأمانة بغداد من جهة أخرى، كانت أسواق البالة تعج بملابس الأطفال والنسائية خاصة، وقفنا أمام احد الباعة وكان اسمه عبد الله والذي رحب بحرارة بنا، وأشار عبد الله إلى ان ملابس البالة وجدت للعائلة الفقيرة التي لا تقوى على شراء الجديد وخاصة أولئك الذين لديهم أطفال عدة وحالتهم المعيشية فقيرة، وأكد عبد الله ان غالبية الزبائن من النساء اللواتي يجدن ظالتهن من ملابس للأطفال لجميع الأعمار وهي رخيصة تلبي حاجة العائلة الفقيرة، وعن الربح فقد قال عنه عبد الله انه شحيح، ونترك سوق البالة ونتوجه إلى سوق آخر وهو من ضمن سوق الاثوريين، انه سوق القصابين، كانت روائح الذبائح تفوح من السوق وقد تكدست في مدخله أكداسا من بقايا الذبائح، التقينا سيدة والقينا عليها التحية بلغتها الاثورية وهي الكلمة الوحيدة التي نجيدها (شلاما لوخن) وتعني (السلام عليكم) ردت السيدة ضاحكة (بشينا) وتعني (أهلا) سألناها عن حال الأمن في المنطقة فقالت انه مقلق في بعض الأحيان، إلا انه أحسن بكثير من السنوات السابقة وقد يكون تواجد السيطرات بشكل مكثف احد أسباب اطمئنان سكنة المنطقة.

مدارس مزدوجة

ككل مدارس العراق وليس بغداد وحدها فان ظاهرة المدارس المزدوجة امر مسلم به، فقد اشتركت في إحدى شوارع منطقة الدورة كل من مدرسة الثناء الابتدائية ومدرسة موسى الكاظم الابتدائية في بناية واحدة، وفي طريقنا شاهدنا تلميذتين في طريقهن إلى المدرسة قالت احداهن وهي من مدرسة الثناء ان الدوام المزدوج يجعل الدراسة ثقيلة وصعبة، كما شكت التلميذة الأخرى (رفضن ذكر أسمائهن) خوفا من الإدارة، أن مدرسة الثناء الابتدائية للبنات تشكو إهمال الإدارة وكثرة الطلبة والزحام في الصف الواحد وان بعض الدروس لا تزال شاغرة مع اقتراب موعد امتحانات نصف السنة، وإنها تسلمت كتبا قديمة قد أكلت صفحاتها الأرضة كونها ملقاة في مخازن التربية لمدة طويلة، وهذا مؤشر على تدهور مستوى التعليم في المنطقة، وشكا والد إحدى الطالبات إن المنطقة لا تزال غير مستقرة امنيا ما يجعله يرافق ابنته البالغة من العمر ١١ سنة بعد ان تم اختطاف إحدى الطالبات قبل أشهر قليلة، وان التفجيرات لا تزال تهز سكون الليل في المنطقة ويد الإرهاب ما زالت تعبث في أرواح سكنة المنطقة وقد شهدت في الأعوام الماضية العديد من التفجيرات كان آخرها تفجير كنيسة في حي الاثوريين مخلفا العديد من الجرحى.

جهد بلدي معدوم

عند تجوالنا في اغلب مناطق الدورة من شارع المعلمين إلى شوارعها الأخرى، وجدنا أن الجهد الخدمي شبه معدوم، وان المنطقة تعاني الإهمال وسوء النظافة فالأسواق تعلوها القمامة، وأسلاك المولدات متدلية في الشوارع ترسم للمارة حكاية مشكلة لم تستطع الحكومات المتعاقبة حلها وهي مشكلة الكهرباء، مما يشكل خطرا فادحا على أرواح المواطنين كما أنها قد تكون سببا لأي حريق متعمد وسيسجل بالطبع على انه تماس كهربائي.

تسجل عدستنا حجم الإهمال الكبير للنظافة فقد مررنا بشوارع وأزقة تعلوها أكداس من الأنقاض، كما وجدنا حاويات تفيض بالنفايات وتسورها القاذورات، وكان رد أصحاب المحال عندما سألناهم عن أسباب رميهم الازبال عند مدخل الازقة، هو عدم تمكّن دخول السيارات الحوضية الى الازقة لأنها مسدودة بالحواجز الكونكريتية، وتساءل بعض سكنة منطقة الدورة عن التعاقدات التي أبرمتها أمانة بغداد مع شركات تركية لتنظيف بغداد ومنها شركة (اكدينيز) التي وزعت فقط حاويات بألوان زاهية إلا أنها سريعة العطب وأشاروا إلى واحدة منها مركونة في الشارع العام

مرآب الدورة محاط بالجدران الكونكريتية وهناك منفذ واحد صغير للدخول ومثله للخروج وعلى جوانبه أكداس من الأزبال